ثقافة

"فيلوكاليا" صوت الروح والحبّ والمشاركة
سعد: لو عاش الناس بتناغم الموسيقى لكان العالم أجمل

انطلاقا من الاسس الروحية والثقافية والتراثية للكنيسة المارونية، تأسست فيلوكاليا عام 2019 على يد الاخت مارانا سعد، كجمعية ومعهد. وهي تعد رسالة وملاذا للإبداع، تتبنى نهج اشراك الشباب بفعالية في الحفاظ على التراث الثقافي الوطني وإطلاق مبادرات مثمرة. يتمثل هدف فيلوكاليا في العمل على تعزيز الفنون والمهارات الاجتماعية في بيئة تعزز العمل الجماعي

تعتبر فيلوكاليا مركزا للإبداع والتعليم والمشاركة المجتمعية. ينبع هذا الدور من تأثيرها المتنوع كمؤسسة تعنى بتعليم 500 طالب، ادارة خمس جوقات، الاشراف على اوركسترا طلابية، تنظيم مهرجانين سنويين، استضافة 70 حفلة موسيقية سنويا في حضور 20,000 شخص، تنظيم مسابقة دولية، اجراء 10 ورش عمل ومؤتمرات سنويا، وتنظيم ثلاثة معارض فنية.

يبرز هذا التنوع الواسع في الانشطة مدى الالتزام العميق للمؤسسة في دعم المواهب الفنية، تنمية الثقافة، وتعزيز الحوار الفكري.

جوقة فيلوكاليا تأسست في عام 2010 بقيادة الاخت مارانا سعد، وكانت تعرف سابقا باسم "جوقة معهد القديسة رفقا". وسرعان ما توسع المشروع ليشمل جوقات عدة، منها الكبار والاطفال، اضافة الى اوركسترا طلابية، اصبحت جميعها علامة فارقة في المشهد الثقافي اللبناني. وقد رسخت الجوقة مكانتها كإحدى أبرز الجوقات في لبنان والمنطقة، من خلال تقديمها برنامجا متنوعا وواسعا يشمل:

- الموسيقى الكلاسيكية (مثل بالسترينا، باخ، موزارت، دفورجاك).
- الموسيقى العربية (مثل سيد درويش، الاخوين رحباني، مارسيل خليفة، شربل روحانا وغيرهم).
- الموسيقى السريانية - المارونية (مثل التقاليد المارونية، توفيق سكر، إياد كنعان وغيرهم).

شاركت الجوقة في العديد من المهرجانات داخل لبنان وعلى الساحة الدولية. وقد تحولت في آب الماضي ساحات المدرج الروماني في زوق مكايل الى تظاهرة فنية وجماهيرية بامتياز، بعدما غصت بحشود فاقت سبعة الاف شخص، حضروا للمشاركة في امسية رحبانية استثنائية بعنوان "في حضرة عاصي ومنصور وزياد"، الاحتفال الذي لم تتسع له المقاعد فاق عدد الواقفين فيه اعداد الجالسين. احيت فيه جوقة فيلوكاليا والفرقة الموسيقية بقيادة الاخت مارانا سعد فقرة فنية، بمشاركة الفنانة رفقا فارس والفنان جيلبير الرحباني، حيث قدموا برنامجا متكاملا استعاد أبرز محطات المدرسة الرحبانية من ميس الريم وبياع الخواتم وفخر

رئيسة جمعية ومعهد فيلوكاليا الاخت مارانا سعد.

> **كنت سأشعر بالغربة لو انخرطت في اجواء لا تشبهني لكني لم افعل**

الدين وصيف 840، وصولا الى روائع زياد الرحباني مثل "فايق يا هوا"، و"دقو المهابيج".

في زمن تتسارع فيه الايقاعات ويتصاعد فيه الضجيج، تبرز جوقة فيلوكاليا كمساحة نقية للصوت الروحي، والتأمل الفني العميق، بروحانية صادقة ورؤية فنية تحمل بعدا يتجاوز الغناء الى التعبير عن معنى أعمق للوجود والايمان.

امتدت عروضهم عبر مدن حول العالم مثل فيرجينيا، واشنطن، فرانكفورت، روما، باريس، ليماسول، وكراكوف، حيث شاركوا في يوم الشباب العالمي مع البابا فرنسيس.

على مر السنين، اقامت الجوقة شراكات تعاون دائمة مع شخصيات فنية مميزة، مثل مارسيل خليفة، شربل روحانا، إياد كنعان، جورج خباز، خالد مزنر، ماجدة الرومي، لبنى بعلبكي، اسامة رحباني، هبة طوجي، لينا فرح، كارلا روميا، رفقا فارس، لوكاس صقر، بالإضافة الى آخرين.

حتى الان، اصدرت الجوقة ما مجموعه 12 البوما، منها "رفقا" (2014) و"سلامي معك" (2016).

تشتهر الجوقة بأدائها ودقتها الفنية لتعكس الحماسة والفن والفرح الحقيقي الذي يجلبه المغنون الشباب على المسرح.

ومع استمرارها في النمو والتطور، تقف هذه الجوقة كشاهد على قوة التعليم الموسيقي في تشكيل المواهب الشابة وتعزيز التناغم بين الثقافات.

كلمة فيلوكاليا تعني في اليونانية محبة الجمال وتحديدا الجمال الروحي، وهي ليست مجرد عنوان للجوقة، بل جوهر رسالتها. فالجوقة التي تأسست بدافع نشر الصلاة من خلال الموسيقى، اختارت طريقا فنيا مغايرا عن السائد، حيث التركيز على الجوهر لا على البهرجة، على التأثير لا على الاستعراض، وعلى الداخل لا الخارج.

تتمتع الاخت مارانا سعد، وهي راهبة وعازفة ومؤلفة موسيقية، بحس فني مرهف يجمع بين التراتيل الشرقية، الموسيقى العالمية، والتأمل الروحي، مما يجعل اعمالها ليست فقط موسيقى تسمع، بل صلاة تحس وتعاش. وقد نجحت عبر قيادة الجوقة في مخاطبة جمهور واسع، ليس فقط من المؤمنين، بل من الباحثين عن السلام الداخلي والجمال النقي.

اعمال فيلوكاليا لا تسعى الى الشهرة التجارية، بل تلامس روح الانسان. ففي حفلاتها، ينتقل المستمع من حالة الانصات الى حالة المشاركة الصامتة، من التلقي الخارجي الى الرجوع الى الذات. وهو ما جعل الجوقة تحظى باحترام وتقدير واسع داخل لبنان وخارجه، سواء في الكنائس، او المسارح الثقافية، او حتى على المنصات الرقمية.

الموسيقى التي تقدمها الجوقة بقيادة الاخت مارانا سعد تحمل بصمة خاصة، تتجاوز الاختلافات الطائفية والحدود الدينية، لتدخل الى جوهر الروح البشرية. وهي تذكرنا بأن الفن الحقيقي لا يحتاج الى تبرير، بل الى صدق.

فيلوكاليا تعيد الى الموسيقى معناها الاول: ◄

المقال

اللغة الجامعة

يتجاوز دور الموسيقى الوظيفة الفنية والترفيهية لتصبح لغة تواصل انساني يتخطى الحدود الجغرافية والانتماءات الدينية والطائفية. هي لغة لا تحتاج الى ترجمة، بل تخاطب المشاعر مباشرة، وتخلق نوعا من التفاهم والتقارب بين البشر مهما اختلفت خلفياتهم.

الموسيقى تعبر الحدود بين الدول لأنها تعبر عن مشاعر مشتركة: الفرح، الحزن، الشوق، الثورة، الحنين. اغنية "بيلا تشاو" الايطالية، مثلا، ولدت في مقاومة الفاشية، لكنها اصبحت رمزا عالميا للحرية، ورددها الناس في مختلف بقاع العالم، واصبحت الاغنية اداة مقاومة مشتركة.

وتعتبر فيروز سفيرة ثقافية للبنان والعالم العربي تتخطى موسيقاها حواجز اللغة، وقد اجتذبت حفلاتها الجماهير في جميع انحاء العالم ويعرف الغرب عنها انها من أبرز الاصوات العربية واكثرها تأثيرا، وصوتها ارتبط بجماليات الشرق وثقافته.

تعرض اغنياتها احيانا في معاهد الموسيقى العالمية كمادة للدراسة، خاصة في ما يتعلق بالمقامات الشرقية المزوجة بالتوزيع الغربي وادرجت بعض اعمالها في مهرجانات دولية، كما ترجمت اغانيها او اعيد توزيعها من قبل فرق اجنبية.

لم تقتصر اغانيها على الحب والطبيعة، بل لامست الوجدان الوطني والانساني. غنت "بحبك يا لبنان" في عز الحرب، فأحبها اللبنانيون أكثر. وحين غنت القدس، لم تكن تنتمي سوى الى القضية. فيروز لم تدخل في الإصطفافات، ولم تتورط في الإنقسامات، بل اختارت موقعها الطبيعي: فوق الطوائف، داخل قلوب الناس.

تتعدى الموسيقى الفنون لتصل الى صحة الانسان، اذ ان الابحاث اظهرت انها تساعد مصابي الألزهايمر وانواع اخرى من الخرف بفوائد عاطفية وسلوكية، اذ يتم الاحتفاظ غالبا بالذكريات الموسيقية لأن مناطق الدماغ الرئيسة المرتبطة بالذاكرة الموسيقية لا تكون قد تضررت نسبيا، لذا تساعد الموسيقى المصاب على تنشيط هذه المناطق واسترجاع بعض الذكريات.

تساهم الموسيقى ايضا بحسب الدراسات في خفض ارتفاع ضغط الدم في الجسم، ويساعد سماع السيمفونيات بانتظام على الوقاية من امراض القلب، ليس ذلك فحسب، بل تخفف الموسيقى القلق والارتباك، كما انها من الوسائل التي تخفض الضغط النفسي، اذ انه بحسب الـ"eiparehtocisum" الموسيقى الهادئة والبطيئة تخفض الـ lositroc وهو هورمون الـ sserts فتساهم في السيطرة على النفس.

عرف عن الموسيقار الالماني لودفيج فان بيتهوفن انه عانى من فقدان السمع في سن الـ72، لكن لم يمنعه ذلك من تأليف الموسيقى وهو فاقد السمع تماما، كما انه كان يعاني من اضطراب ثنائي القطب الذي يجعله يتأرجح بين نوبات الاكتئاب ونوبات الابتهاج. تنعكس كل هذه المشاعر والامزجة المختلفة في موسيقاه، مما جعلها تستخدم بشكل مكثف في العلاج بالموسيقى، لأنها تدفع مجموعة من المشاعر المعقدة الى الظهور. كما ترتبط هذه المشاعر بالذكريات التي تعمل على اطلاق هرمون الأوكستوسين الذي يقلل الشعور بالتوتر والقلق، ويزيد من القدرة على النوم الجيد.

اذا، حين تعجز الكلمات، تتكلم الموسيقى...

ميرنا الشدياق

◄ ان تكون صلاة، حبا، ومشاركة. والاخت مارانا سعد تمثل نموذجا نادرا لفنانة راهبة تمارس الفن كخدمة للروح، وكجسر بين الارض والسماء.
في هذا السياق، اجرت "الامن العام" حوارا مع مؤسسة ورئيسة جمعية ومعهد فيلوكاليا الاخت مارانا سعد التي تحدثت عن رسالة فيلوكاليا.

■ بداية مع فيلوكاليا، اخبرينا عن هذه التجربة منذ البدايات كمؤسسة بشكل عام والتي من دون شك تعكسون في ادائكم بشكل خاص من خلال الاوركسترا او الجوقة، معنى هذا الاسم: الحب والجمال.
□ الانسان بطبيعته، المجتمع بواقعه، والفنون بمواهبها، يحتاجون الى الفن والابداع كأداة للخلق والحب والجمال، كوسيلة لخلاص الانسان. فجاءت فيلوكاليا كرسالة كنسية تعنى بالفن وحب الجمال، وبالتالي بالانسان.

■ ما هو دور هذه المؤسسة؟ وهل تقومون بدور الكونسرفتوار؟ وما علاقتها بالكنيسة؟
□ فيلوكاليا رسالة واحدة في دير الزيارة، تسكنه فتيات كرسن حياتهن لهذه الرسالة في الصلاة والفن والتربية والعمل لمجد الله. تشبه فيلوكاليا طائرا بجناحين: الجمعية والمعهد. الجمعية تعنى بدعم المواهب الجديدة، وتشجيع الابداع الفكري والموسيقي والفني، والحفاظ على التراث السرياني واللبناني، وتنظيم دورات تنشئة وورش عمل وحفلات ومعارض ومسابقات ومهرجانات، الى جانب الاهتمام بالمواهب من ذوي الاحتياجات الخاصة، والانتاج المحلي، واحياء تراث الادباء اللبنانيين من خلال الصالون الادبي. اما المعهد، بأقسامه الخمسة (الموسيقى، الرسم، التمثيل والرقص، فن الطبخ، والروحانيات)، فيعنى بالتعليم وتنشئة المواهب من خلال برامج دراسية تمكنهم من تكوين شخصيتهم الفنية بعمق ورقي وتقنيات عالية.

■ إمراة وراهبة تقود اوركسترا، هو امر يشكل تحديا خصوصا في منطقة لم تشهد كثيرا هذه التجربة. كيف تخوضين هذا التحدي؟ وهل واجهت صعوبات او انتقادات لكونك راهبة في عالم الفن؟ وكيف توفقين بين العالمين؟
□ نظرت في حياتي الى التحديات كأنها نعم، مما جعلني أتعامل معها بثقة لا بخوف. الثِقة تعني ان اعمل على نفسي لأقدم الافضل والاجمل والاصدق للناس، فأشعر دائما بمحبتهم، وهذا يكفي لنشهد لربنا من خلال العطايا التي وهبنا اياها. اما كوني راهبة في عالم الموسيقى، فأود ان اقول شيئا واحدا: لو عاش الناس جميعا بتناغم الموسيقى، لكان العالم أجمل بكثير. بالنسبة إلي، الانسان وحدة متكاملة، فلا يتناقض هذا مع ذاك. المهم ان نرفع الناس بما نقدمه، فالموسيقى صلاة، وفي الصلاة موسيقى.

■ كيف ولدت لديك فكرة الانخراط في عالم الموسيقى، ثم قيادة اوركسترا، في حين ان معظم الراهبات ينخرطن في المؤسسات التربوية؟ متى اكتشفت هذا الميل وما الذي فعلته لتطويره؟
□ احببت الموسيقى منذ صغري، كنت اسمعها في الصباح، في البيت، في الطبيعة، في المدرسة، في الكنيسة، وفي صوت امي وابي. نشأت عليها في لقاءات الأحبة واصدقاء والدي في بيتنا، عندما كانوا يأتون من مختلف المناطق اللبنانية الى جلسات الارث مع العود والناي والاكورديون واغاني وديع والرحابنة وفيروز وفيلمون وهبي... تلك الايام زرعت في داخلي هوية لا تنفصل عن لحظات الحب والطاقة الجميلة. بعدها انضممت الى الجوقة في الرعية ودرست الموسيقى في جامعة الروح القدس - الكسليك. وعندما دخلت الرهبنة في دير مار يوسف - جربتا، علمت الموسيقى، وتابعت دروسي فيها. طلب مني في الرهبانية ادارة جوقة الراهبات، فطورت دراستي على صعد مختلفة. ثم تخصصت في ادارة الجوقات في جامعة Pontificio Istituto di Musica Sacra في روما، بالتوازي مع دراساتي اللاهوتية، وحصلت لاحقا على دكتوراه في اللاهوت والموسيقى. عندما عدت من روما اسسنا معهد وجوقة القديسة رفقا، التي اخذت بعدا آخر في الكنيسة منذ العام 2018، تحت رعاية وبركة غبطة ابينا البطريرك مار بشارة بطرس الراعي، حيث اتخذت هوية جديدة باسم فيلوكاليا، اي حب الله وحب الجمال.

■ هل من اسماء معينة من الفنانين والملحنين يؤثرون بك عندما تستمعين الى موسيقاهم؟
□ احب الموسيقى التي تخاطب العقل والقلب معا. من بين المؤثرين في الغرب: باليسترينا، توماس لويس دي فيكتوريا، باخ، فيفالدي، هايدن، وهاندل. في الشرق: الاخوان رحباني، عبد الوهاب، سيد درويش، وغيرهم.

دير الزيارة.

■ تشاركين في حفلات احياء لذكرى معينة، آخرها كان "في حضرة عاصي ومنصور وزياد"، ماذا يعني لك الرحابنة خصوصا ان الحانهم واغاني فيروز تحضر دائما في برامجكم؟
□ أنشأ الاخوان رحباني بموهبتهما مدرسة لبنانية متكاملة في الشعر واللحن والرسالة الوطنية والاداء المتميز. فيروز هي روح لبنان وايقونته، كتبت بصوتها تاريخنا وهويتنا. زياد عبقري من شبابنا، خطفه الموت باكرا، لكنه ترك اثرا خالدا. نحن نحبهم ونشكرهم على ارثهم الكبير.

■ تدمجون في امسياتكم بين التراتيل والاغاني الراقية ما الهدف؟ وكيف تفسرين رد فعل الجمهور المنبهر في معظم الاوقات؟
□ الموسيقى تلعب دورا اساسيا في ترقية الانسان، اذ تدخل الى مشاعره وفكره وقلبه وعزة نفسه. دمج التراتيل مع الاغاني هو تعبير عن انتمائنا لله والارض والوطن. نفرح بهذا البرنامج لما يحمله من قيمة شعرية ولحنية، ولأنه تراثنا الذي يخاطب الكبير والصغير معا.

■ لا شك في ان التحضيرات تحتاج الى تمويل في حين ان حفلاتكم مجانية، كيف تستمرون في ظل تزايد المتطلبات المادية لتقديم اي احتفال؟
□ الثقافة مكلفة لأنها مسؤولة عن تنمية الفنان والمجتمع. لذلك، اشكر اولا الداعمين ماديا الذين بفضلهم نستمر، لكن ثمة شكر خاص ايضا لكل من يعطي ذاته مجانا ايمانا منه بقدرة هذه الرسالة على تحويل المجتمع الى عالم حضاري وراق وسعيد.

■ تقدمون حفلات في معظم المناطق اللبنانية وبدعوات من مختلف التيارات السياسية، كيف تفسرين هذا الاجماع؟
□ نحن ننتمي الى الوطن لا الى فئة او حزب. نغني لمجد الله، لكرامة الانسان وحريته، لجيشنا، ولكل ما يضمن حياة كريمة. موسيقانا ببساطة تشبه لبناننا الجميل، لبنان الذي نتفق عليه حين يصفو الضمير.

■ هل تشعرين أنك غريبة عن الجو الفني في لبنان؟ وهل ابتعد الجمهور عن الفن الراقي؟
□ في كل مجتمع هناك مَن يشبهنا وهناك مَن يختلف عنا. كنت سأشعر بالغربة لو انخرطت في اجواء لا تشبهني، لكني لم افعل. الجمهور، مهما تغيرت الظروف، يبقى قادرا على التمييز بين العمل الراقي والعمل الشعبوي، وهو يشتاق دائما الى الاعمال الرفيعة. لقد اختبرنا ذلك مرارا في حفلاتنا.

■ ما الذي تطمحون الى تحقيقه في لبنان وفي الخارج؟
□ نطمح ان نترك عطرا جميلا في هذا العالم، فكيف إذا كان هذا العطر صوتا ونغما يهز الارواح ويغمرها بالفرح؟

■ كلمة اخيرة الى الشباب اللبناني، ومَن يمكنه الانضمام الى فيلوكاليا وكيف؟
□ الى الشباب اللبناني: أحبوا الموسيقى والفنون والمسارح، فالأوطان تعرف بمبدعيها، وانتم اهل هذا الوطن. فيلوكاليا بيت المبدعين من الصغار الى الكبار. نحن في انتظاركم لنزرع البسمة في قلوب الناس، ونكتب لبنان معا.

م . ش